ب - جبال لبـــنان الشرقية و القلمون

إن المقصود بجبال (لبنان الشرقية) هوكامل السلسلة الجبلية بأقسامها الثلاثة، التي تحتل شريطاً من المرتفعات العالية الواقعة جنوب غربي سورية مسايرة للحدود السورية - اللبنانية على امتداد خط الذرى. بين خطي عرض (٣٤ درجة و٢٥ دقيقة) وعرض (٣٣ درجة و١٥ دقيقة) شمال خط الاستواء، أما ما يعرف بكتلة (لبنان الشرقي)، فعبارة عن الكتلة الشمالية، والأساسية من سلسلة لبنان الشرقية. فجبل لبنان الشرقي هو القسم الأول من جبال لبنان الشرقية. ويعرف بجبل سنير في الكتب التاريخية القديمة.

أما الأجزاء الأخرى فهي جبال منطقة الزبداني ثم جبل الشيخ المعروف بـــ (جبل الثلج) في الكتب العربية القديمة، أو (جبل حرمون) في اللغة الآرامية. وهي كلها ذات محور رئيسي سائد متجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي بزاوية منحرفة عن الشمال الجغرافي بمقدار (٣٨) درجة، وبطول قدره نحو (١٧٥ كم) بين قرية حسيا وجبل حسيا في الشمال الشرقي، حتى نقطة التقاء الحدود السورية - الفلسطينية - اللبنانية في منطقة بانياس الحولة في الجنوب الغربي. ولما كانت قمم هذه الجبال تشكل الحدود السورية - اللبنانية، فإن سفوحها

الشرقية هي سورية، في حين تقع سفوحها الغربية في لبنان.

وبالتالي فإن عرض هذه الجبال في الأراضي السورية يراوح بين (٨ كم) و (٢٢ كم). أي بوسطي (١٥كم). أما ارتفاعات هذه الجبال فهي كبيرة يبلغ وسطيها (٢٠٠٠ م) فوق مستوى سطح البحر، كما أنها تضم أعلى القمم السورية على الإطلاق. ففيها قمة جبل الشيخ (٢٨١٤ م) أعلى ارتفاع في البلاد، وكذلك قمة وادي هاجر (٢٦٢٩ م) وقمة طلعة موسى (٢٦١٦ م) وقمة حليمة (٢٤٦٤ م) وقمة وادي الزمراني (٢٣٦٠ م). والقمم المذكورة جميعها، ما عدا قمة جبل الشيخ، تقع في كتلة لبنان الشرقي. وعلى العموم فإن الارتفاعات القصوى تتناقص من الجنوب الغربي باتجاه الشمال الشرقي. وهذه أقسام سلسلة جبال لبنان الشرقية.

- جبل لبنان الشرقي (جبل سنير) :

تبدأ هذه الكتلة من جبل حسيا (٩٣٧ م) في الشمال الشرقي، مرتفعة فوق مستوى سهول حوض حمص، وشمال سهل البقاع. وتتجه نحو الجنوب الغربي إلى جبل حليمة ثم جبل الزمراني فجبل عطنينة مع جبل حرف الثلاجة، وهنا توجد أعلى قمم لبنان الشرقي وهي قمة وادي هاجر وقمة طلعة موسى. ثم جبل المنار (٢٤٢٤ م) فكتلة حوف حبوك وجبل الدرة.

وتتصل نهايات هذه السلسلة مع جبال شرق وادي سرغايا وشرق حفرة الزبداني إلى وادي نهر بردى الذي يمكن اعتباره الحد الجنوبي والجنوبي الغربي لكتلة لبنان الشرقي. وتشكل السلسلة هذه الشريط الغربي من لبنان الشرقي المساير للحدود السورية – اللبنانية. وتتميز منطقة القمم فيها بأنها منبسطة ومستوية في معظم أقسام الكتلة، وتأخذ شكل هضاب مرتفعة تعرف محلياً بـ (الجرود ج : جرد). لكن هذا الانبساط الطبوغرافي لا يلبث أن ينقلب إلى سطوح ذات انحدارات واضحة حتى قاسية عندما نقترب من السفوح الغربية للسلسلة، إذ تسقط تلك السفوح بجوانب شديدة الانحدار، ترافقها جروف قاسية تطل على سهل البقاع في لبنان.

أما السفوح الشرقية والجنوبية الشرقية للكتلة فتنحدر أيضاً بسفوح واضحة الانحدار، لكنها أقل شدة من انحدار السفوح الموجهة نحو سهل البقاع. مما يؤدي إلى عدم تناظر في المقطع العرضاني للكتلة. ويزداد عدم التناظر هذا ظهوراً بسبب فرق الارتفاع بين سهل البقاع الذي يقع على مستوى وسطي قدره (٧٥٠ – ٨٠٠ م) تقريباً، وسهل الانجاصة (النجاصة) الواقع شرقي الكتلة ويرتفع إلى نحو (١٦٥٠ م) ونحو (١٠٠٠ م) في حوض مجّر القلمون.

– سلاسل جبال القلمون:

لا تقتصر كتلة لبنان الشرقي على هذه السلسلة بل تتألف من سلاسل أخرى تسايرها في اتجاهها العام. هي سلاسل جبال القلمون الثلاث، التي تلتحم مع جبل سنير في الجنوب الغربي، وتنفرج عنه باتجاه الشمال الشرقي. وهناك من يميل إلى تسمية سلاسل لبنان الشرقي جميعها، بما فيها السلسلة العالية التي تعرضنا لها فيما تقدم، بـــ (جبال القلمون).

تعد عقدة كتلة الدريج بين وادي حلبون ويعرف بـــ (وادي الشعب)، وبين وادي نهر بردى نقطة انطلاق سلاسل القلمون الثلاث، التي تأخذ بالتشكل عندها، و تبرز واضحة شرقها وشمالها الشرقي. وهذه السلاسل متوازية واتجاهها واحد، لكنها تنفرج عن بعضها بعضاً باتجاه الشمال الشرقي. وأولى هذه السلاسل هي الواقعة بعد كتلة لبنان الشرقي الأساسية (جبل سنير)، إلى جنوبها الشرقي مباشرة. بعد حوض جبلي بيني يفصل بين السلسلتين هو حوض المجر وسهل النجاصة.

تبدأ سلسلة القلمون الأولى في الجنوب الغربي في عقدة الدريج، وتسير شمالاً بشرق بزاوية انحراف عن الشمال تصل إلى (٤٥ – ٤٨) درجة. فتشكل جبال صيدنايا ثم جبل رنكوس (١٨٣٥م في قمة النبي ويس). ثم جبل معلولا (١٨٠٣ م) فجبل يبرود وفيه أعلى قمة في السلسة الأولى وترتفع إلى (١٩١٢ م) عند رأ س معبور زقزق. وينتهي جبل يبرود في الشمال – الشمال الشرقي قبيل النبك مشكلاً ضهور العقاب. وهنا يقترب جبل

يبرود من كتلة لبنان الشرقي ليشكل بوابة يبرود الضيقة التي تجتازها مياه مجر القلمون. وبالرغم من توقف السلسلة القلمونية الأولى وانقطاعها بين النبك ويبرود، فإن استمراراً لها يظهر شمال شرقي بلدة قارة في جبلين هما جبل الصوان (١٣٥٩ م) وجبل الكودن (١٣٢٨ م).

أما السلسلة القلمونية الثانية فتبدأ في عقدة الدريج في جبل حوا (١٢٤٩ م)، وتسير شرقاً بشمال بانحراف يصل إلى (٥٠) درجة وأكثر عن الشمال الجغرافي. وتشكل جبل القواصر شرق منين ويرتفع إلى (١٤٥١ م) في قمة المرصعانية، ثم يستمر سيرها بين معرة صيدنايا في الشمال ومعرونة في الجنوب بانخفاض مستمر باتجاه الشمال الشرقي حتى جبل قرن المعلولية (١١٤٧م)، حيث تغيب السلسلة وتضيع في منبسط القطيفة. لكنه غياب غير تام لأن جناحها الشمالي يتابع سيره عند حلا ويشكل جبل حلا ورأس الزرزوري (١٢٨٣ م) ثم جبال السميكات (١٦٩٥ م). وبين هذين الجبلين يسير وادي الثنايا وطريق دمشق – حلب بين خان المعزة وخان العروس. وتستمر هذه السلسلة في جبل سكفيه ثم جبل النبك (ويعرف بجبل شرقية النبك وأحياناً بجبل الدير عطية). وأعلى ارتفاع فيه يصل إلى (١٨٥٦ م) في قمة رأس الدارة المشرفة على وادي شعب اللوز. وأقصى امتداد لهذه السلسلة هو كتلة جبال مهين (الكبير والصغير مع شق مهين).وفيها قمة مهين الكبير (١٤٣٩ م).

وعندها تنتهي السلسلة الثانية على أطراف حوض حمص وأطراف حوض الدوة. ويمكن اعتبار جبل أبو رباح (٩١٣ م) استمراراً نهائياً لهذه السلسلة يفصل بين حوض الدوة وسهول حمص.

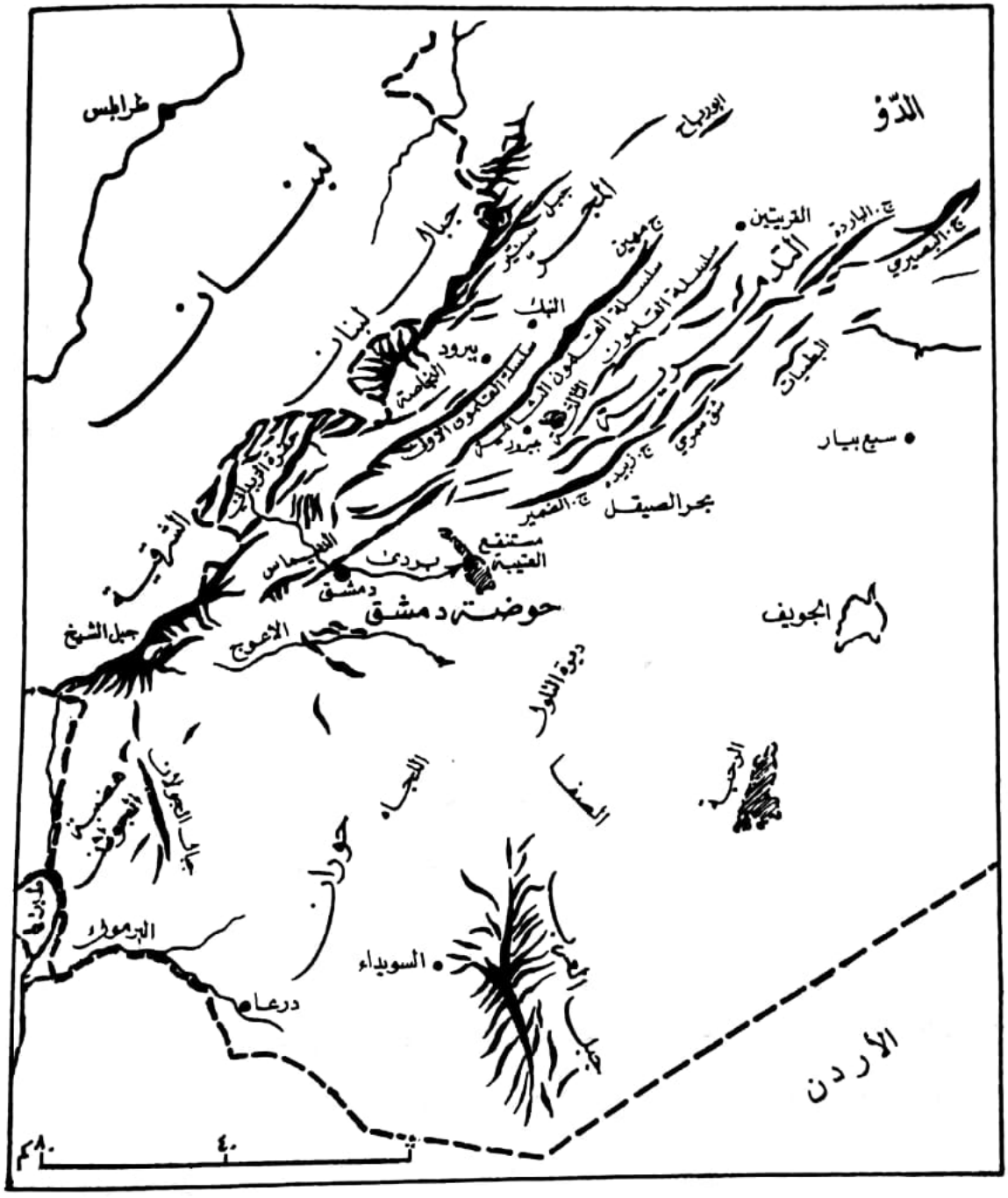

(الشكل ١٦) تضاريس جنوب شرقي سورية

أما السلسلة القلمونية الثالثة فتبدأ من جبل عنتر، و وادي بردى، وخانق الربوة، وجبل قاسيون (١١٥٥ م). وتسير باتجاه الشمال الشرقي، بانحراف يراوح بين (٥٠-٥٩ درجة) عن الشمال الجغرافي، مشكلة الجبال التالية: تمرلنك (٩٩٦ م)، جبل المعاز (١٠٧٣ م)، وعر القلعة (١٠٧٩ م). ثم جبل أبو العطا (أو أبو العتا)، وفيه أعلى قمة في سلسلة القلمون الثالثة وتبلغ (١٥١٥ م). بعدها وإلى الشرق من طريق دمشق - حلب وثنية العقاب، يزداد ظهور أثر الانحراف الشرقي على محور سير السلسلة حتى بلدة الرحيبة. لكنه يعود شمالياً شرقياً بعد الرحيبة وجنوب شرقي سبخة (مملحة) جيرود، حيث تستمر السلسلة في جبل الطرفة (أو البترا) (١١٥٦ م) وجبل الأفاعي (١١١٣ م). وعلى امتداد نهاية جبل الأفاعي وبانزياح ناشئ عن صدع افقي انزلاقي نحو الغرب مقداره حوالي (٧ كم)، تعود السلسلة القلمونية الثالثة للاستمرار وبالاتجاه نفسه، في جبل غراب (١٢٤٦ م) في قمة تل قبر عنتر، ثم في جبل مكسر نمر (أو ابن نمر) (١٣٠٦ م) فجبل روس الطوال (١٣٥٨ م) ثم جبل المزيبلة (١٠٥٧) حيث تنتهي السلسة جنوب بلدة القريتين.

إن استعراضنا لسلاسل القلمون الثلاث معاً، يبين أن السلسلة الثالثة ذات ارتفاعات وسطية أدنى من الارتفاعات الوسطية في السلسلة الثانية، وأعلاها هي السلسلة الأولى. ويفصل بين جبال كتلة لبنان الشرقي (سنير) وبين السلاسل الجبلية هذه،وبين جبال القلمون نفسها أحواض وهضاب عالية متطاولة متفقة في اتجاهها مع المحاور الجبلية التي يسود عليها الاتجاه الشمالي الشرقي. وجميع هذه الأحواض والهضاب تأخذ بالانخفاض التدريجي، كما تتسع أرضها وتنفرج عند نهاياتها الشمالية الشرقية. على عكس أقسامها الجنوبية الغربية الضيقة والمرتفعة باتجاه عقدة الدريج. وتقع هذه الهضاب والأحواض على مستويات ارتفاع متدرجة، أعلاها تلك الفاصلة بين كتلة سنير والسلسلة القلمونية الأولى، وتتألف من سهل النجاصة ومجر نهر العسال وحوض مجر القلمون. يليها مستوى حوضي صيدنايا، والتواني- وادي عين التينة الفاصل بين السلسلة الأولى والثانية. وأخفضها مستوى حوض جيرود- الناصرية الممتد بين السلسلة الثانية والثالثة. ويعرف حوض جيرود مع السلسلة الثالثة بـــ (القلمون الأسفل) أو (الجورة)، حيث توجد سبخة جيرود على ارتفاع (٧٨٤ م) فوق مستوى سطح البحر، مقابل ارتفاع وسطي قدره

(١٥٠٠م) في حوض المجر.

وتتميز سلاسل القلمون بميزة جغرافية مهمة ومشتركة فيما بينها، ألا وهي تقارب أو تشابه مقاطعها العرضانية بشكل عام. إذ أن انعدام تناظر السفوح الشمالية الغربية اللطيفة الانحدار نسبياً، والسفوح الجنوبية الشرقية الشديدة الانحدار والغنية في أقسام كبيرة منها بالجروف الصخرية القائمة، هو ظاهرة عامة نجدها على طول كل السلاسل المذكورة تقريباً. لذا فإن الناظر إلى أية سلسلة من السلاسل من جهة الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي يشاهد خطاً متتالياً من الجروف الصخرية المتعاقبة مع ضهرات خالية منها لكنها شديدة الانحدار باتجاه الناظر، تتخللها فجوات (فجوج وعقبات أوثنيات) تسهل المرور عبر

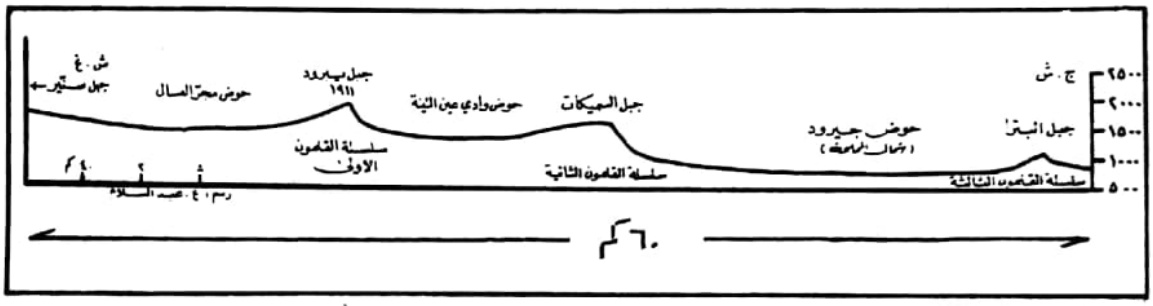

(الشكل ١٧) مقطع طبوغرافي عبر سلاسل جبال القلمون

السلسلة. ويزداد تأثير هذا المنظر بتدخل فروق الارتفاع بين أرض الحوض وأعلى السلسلة الجبلية، لأن الأحواض والهضاب الفاصلة والواقعة إلى الجنوب الشرقي من أية سلسلة كانت، هي أخفض من أية سلسلة جبلية تقع شمال غربيها.

ويختلف الوضع في كتلة لبنان الشرقي،إذ تصبح السفوح الواقعة شمال غربي (مقلب الماء)، أي خط الذرى حسب التسمية المحلية، والساقطة على سهل البقاع، هي أشد انحداراً من السفوح المتجهة نحو حوض المجر في الجنوب الشرقي. لذا فإن حوض المجر يكاد يكون

متناظراً على جانبيه الأيمن والأيسر، لالتقائهما مع أطراف جبال لبنان الشرقي والسلسلة الأولى بانحدارات متقاربة ولطيفة نسبياً. ونظراً لأهمية السفوح الموجهة للشمس والمحجوبة عنها في هذه الجبال، والتي فرضها اتجاه محاور التضاريس، نشاهد انتشار كلمتي (ظليل) و(شميس) في المنطقة.

ومما يميز كتلة لبنان الشرقي تخددها بواسطة عدد كبير من الأودية السيلية المتعمقة في جسم الجبال إلى أكثر من (٤٠٠- ٥٠٠ م) وسطياً. وأقل من ذلك في بقية السلاسل القلمونية. ومعظم هذه الأودية ضيق على العموم،مع الانحدار الشديد وفرق الارتفاع الكبير. ويطلق على أمثال هذه الأودية الضيقة والمدرجة أحياناً تسمية (خانوق) كخوانيق منطقة الجبة مثلاً، أو (مخنق) كمخانق السفح الشمالي الغربي لجبل يبرود. ومن التسميات المنتشرة في كامل المنطقة اطلاق تسمية (شعبة ج : شعاب) على روافد الأودية الكبرى. ويتفق خط سير معظم الأودية والشعاب والمخانق مع الانحدارات الطبوغرافية وتنتهي في مستوى أساسها في الأودية الكبرى الجارية في أخفض نقاط الأحواض البينية والهضاب الفاصلة بين السلاسل الجبلية. أما منتهى مياه المنطقة فهو إما سهول حمص فالعاصي، أو إلى أحد المنخفضات المغلقة الثلاثة وهي حوضة دمشق (منخفض العتيبة)، وحوضة جيرود (الملاحة)، وحوض الدو. وما ينسكب عنها إلى لبنان وسهل البقاع ينتهي إلى البحر المتوسط. فللمنطقة أربعة مستويات أساس لمياهها، مما يؤكد أهميتها كتضريس رئيسي في سورية تصل فيه قدرة التضاريس المطلقة إلى أكثر من ١٨٠٠م بين حوضة جيرود وقمم سنير.

- منطقة حفرة الزبداني :

أما القسم الثاني من سلسلة جبال لبنان الشرقية فهو عبارة عن حفرة الزبداني والجبال المطلة عليها، وتشكل صلة الوصل بين جبل لبنان الشرقي وسلاسل القلمون في الشمال الشرقي، وجبل الشيخ في الجنوب الغربي. فبعد جبل رخله أقصى امتداد لجبل الشيخ نحو الشمال وحتى منطقة سرغايا، تظهر منطقة الزبداني على شكل كتلتين جبليتين بينهما قاع منخفض خاسف متشكل في قلب الجبال وعلى امتدادها القريب من الشمال مع انحراف قليل

نحو الشمال الشرقي. وعلى العموم فإن المظهر العام للتضاريس يشير إلى لسانين أو قرنين جبليين منطلقين من النهاية الشمالية لجبل الشيخ باتجاه نهاية جبل لبنان الشرقي الجنوبية، المشرفة على وادي ومنطقة سرغايا في الغرب وسهل النجاصة في الشرق. وهذان اللسانان هما كتلة جبل شير منصور (كثيراً ما تكتب : الشيخ منصور) في الغرب، وكتلة جبل المزار في الشرق. وتستمر كتلة المزار بعد وادي نهر بردى باتجاه الشمال الشرقي في كتلة جبل هابيل (١٣١٤ م) وجبل شقيف الخرم (١٧٠٠ م) ثم جبل عين النسور (٢١١٦ م) فجبل شقيف (٢٤٢٠ م). أما قمة جبل المزار فتصل إلى (١٦٣٤ م) وأعلى قمة في جبل شير منصور تصل إلى (١٨٨٥ م).

أما بالنسبة للقاع الخاسف فيشكل سهلاً جبلياً منبسطاً في الوسط تتصل أطرافه بأقدام الجبال المحيطة به بانحدارات لطيفة، ويعرف بسهل الزبداني أو سهل مضايا أحياناً، وله شكل مغزلي متطاول شمالاً بجنوب، مع انحراف خفيف نحو الشمال الشرقي مغلق من الشمال بعتبة تفصل بينه وبين وادي سرغايا. أما في الجنوب فيكاد يكون السهل مغلقاً أيضاً لولا حز نهر بردى وتعمق واديه في الجبال، التي تتقارب من بعضها حتى لتكاد تسد الطريق أمام مياه النهر الذي يخترقها بخوانق وسقطات في مجراه. ويرتفع سطح سهل الزبداني إلى أعلى من (١١٠٠ م) وبالتالي فهو سهل جبلي، يقع متوسط فرق الارتفاع بينه وبين الجبال المحيطة به بحدود (٧٠٠- ١٣٠٠ م). وهو فرق كبير على مسافة لا تتجاوز (٥ - ١٥ كم). إن وجود هذا السهل في هذه المنطقة هو الذي سبب انقطاع استمرار سلسلة جبال لبنان الشرقية وأدى إلى تقسيمها إلى الأقسام المذكورة، وبالتالي تعقدت تضاريس السلسلة في هذه المنطقة بنشوء حفرة الزبداني. ولا يقتصر الأمر على حفرة الزبداني فحسب،بل تزيد حفرة أخرى أصغر من سهل الزبداني في تشويش تضاريس المنطقة وتعقيدها ؛ هي حفرة دير العشاير (العشائر) المغلقة والحاوية على بحيرة صغيرة جفت، يقع مستواها العام على ارتفاع (١١٩١ م) فوق مستوى سطح البحر.

إن تعقد التضاريس وكذلك تميزها، بالجروف القاسية والجوانب الشديدة الانحدار وبالانحدارات الأقل شدة نسبياً في بقية الجبال، كل ذلك يرجع إلى الحركات البنائية الصدعية

المولدة لتضاريس المنطقة بالدرجة الأولى، لا إلى العوامل الخارجية كما سنرى في دراسة جيومورفولوجية سورية. أما خطوط تقسيم المياه فتختلف في جبل الشير منصور، حيث تشكل سطحاً منبسطاً نسبياً تحده جروف وجوانب شديدة الانحدار تسقط على سهل الزبداني في الشرق،وعلى أراضي يابوس وكفر يابوس في الغرب.

ويتشوه هذا السطح المنبسط بحفر عديدة تنتشر عليه، مع أشكال خرائبية عجيبة سببها الحت الكارستي. وعلى العكس من ذلك نجد أن خط الذرى في جبل المزار ضيق ومجزأ إلى قمم عديدة. أما في السلسلة الواقعة شرق سهل الزبداني فهو مقبب ومستمر بارتفاع متزايد باتجاه الشمال الشرقي. وتكاد سفوح هذه السلسلة تتناظر في انحداراتها نحو سهل الزبداني في الغرب ونحو وادي هريرة في الشرق مع ازدياد شدة الانحدار نحو الوادي الأخير في الجنوب ونحو وادي سرغايا في الشمال.

- جـــبل الشـــــيخ :